الفصل الرابع
اليهود والشيعة والأرمن

السلطان عبد الحميد واليهود:إن حقيقة الصراع بين السلطان عبدالحميد الثاني واليهود من أهم الأحداث في تاريخ السلطان المسلم الغيور عبدالحميد الثاني وهناك مفاهيم عديدة لكلمة الدونمة، إذ إن الكلمة من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة التركية دونمك التي تعني الرجوع أو العودة أو الارتداد أما المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة فإنه يعني المرتد أو المتذبذب، بينما تعني هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهباً دينياً جديداً، دعا إليه الحاخام ساباتاي زيفي،أما المفهوم السياسي لهذه الكلمة فإنه يعني اليهود الذين لهم كيانهم الخاص، وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذين يعيشون في المدن الاسلامية خاصة في ولاية سلانيك وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لبيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الاسلام ثم أصبح علماً على فئة من يهود الاندلس الذين لجأوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الاسلامية.

إن مؤسس فرقة الدونمة هو شبتاي زيفي الذي أدعى أنه المسيح المنتظر في القرن السابع عشر، حيث انتشرت في تلك الأيام شائعة تقول أن المسيح سيظهر عام ١٦٤٨م كي يقود اليهود في صورة المسيح وأنه سوف يحكم العالم من فلسطين، ويجعل القدس عاصمة الدولة اليهودية المزعومة وكانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة عندئذ في المجتمع اليهودي ، والأوساط اليهودية القديمة تؤمن بقرب ظهور هذا المسيح

لذلك صادفت دعوة شبتاي تأييداً كبيراً بين يهود فلسطين ومصر وشرق أوروبا ، وأيدها كثير من اليهود وأصحاب الأموال لأغراض سياسية ومالية.

وذاع أمر شبتاي في أوروبا وبولندا وألمانيا وهولندا وإنجلترا وإيطاليا وشمال أفريقيا وغيرها وفي أزمير أخذ يلتقي بالوفود اليهودية التي جاءت من أدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، حيث قلدته هذه الوفود تاج ملك الملوك ثم قام شبتاي بتقسيم العالم إلى ثمانية وثلاثين جزءاً ، وعين لكل منها ملكاً، اعتقاداً منه بأنه سيحكم العالم كله من فلسطين، حيث كان يقول في هذا المجال أنا سليل سليمان بن داود حاكم البشر وأعتبر القدس قصراً لي وبعد أحداث طوال نُفي إلي جزيرة معزولة ومات فيها ويعد شبتاي أول يهودي بشر بعودة بني إسرائيل إلى فلسطين ، وعدت حركة زيفي حركة سياسية ضد سلطة الدولة العثمانية أكبر من كونها حركة دينية ولقد أسهمت هذه الطائفة في هدم القيم الاسلامية في المجتمع العثماني وعملت على نشر الإلحاد والأفكار الغربية وانتشار الماسونية والدعوة لهتك حجاب المرأة المسلمة واختلاطها مع الرجال خاصة في المدارس وكان الكثير من رجال الاتحاد والترقي يساهم في بعض أنشطتها وأفراحها.

وقام يهود الدونمة بدور فعال في نصرة القوى المعادية للسطان عبدالحميد والتي تحركت من سلانيك لعزله وهم الذين سمموا أفكار

الضباط الشباب ولايزالون حتى وقتنا الحاضر يسعون لذلك ولهم صحف ودور نشر وتغلغلوا في الاقتصاد العثماني وكل مناحي الحياة في الدولة العثمانية واستطاعوا أن يؤثروا في جمعية الاتحاد والترقي، وكان السلطان عبدالحميد الثاني يعرف حقيقة الدونمة ويؤكد هذه الحقيقة الجنرال جواد رفعت أتلخان، حيث يقول في هذا الصدد :إن الشخص الوحيد في تاريخ الترك جميعه، الذي عرف حقيقة الصهيونية والشبتائية وأضرارهما على الترك والاسلام وخطرها تماماً، وكافح معهما مدة طويلة بصورة جادة لتحييد شرورهم هو السلطان التركي العظيم السلطان عبد الحميد كافح هذه المنظمات الخطيرة لمدة ثلاث وثلاثين سنة بذكاء وعزم وإرادة مدهشة جداً كالأبطال.

وفي حقيقة الأمر، أهتم السلطان عبدالحميد بإبقاء الدونمة في ولاية سالونيك ،وعدم وصولهم إلى الاستانة، بغية عدم السيطرة عليها وتجنب تحركاتهم ، ونتيجة للموقف الجاد من السلطان عبدالحميد إزاء فرقة الدونمة اتبعوا إستراتيجية مضادة له، حيث تحركوا ضده على مستوى الرأي العام العثماني والجيش ونتيجة لموقف السلطان عبد الحميد من الدونمة، قاموا بالتعاون مع المحافل الماسونية للإطاحة به، وقد استخدم هؤلاء شعارات معينة كالحرية والديمقراطية وإزاحة المستبد عبدالحميد، وعلى هذا الاساس قاموا بنشر الشقاق والتمرد في الدولة العثمانية بين صفوف الجيش وكانت الغاية من هذا تحقيق المشروع الاستيطاني

الصهيوني باستيطان فلسطين وكان يهود الدونمة يشلكون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات اليهودية العالمية.

وثيقة السلطان عبد الحميد للرد على هيرتزل :

يقول المؤرخ التركي نظام الدين نظيف في كتابه إعلان الحرية والسلطان عبدالحميد الثانى عندما رد طلب الوفد اليهودي- لمسند من قبل الامبراطور وليم في الحصول على وطن لهم، أي عندما خاب هرتزل في مسعاه إشتد العداء ضد يلدز وهذا ماكان يتوقعه عبدالحميد، لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم ، فالمال متوفر لديهم وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواصف التي يريدونها لدى الرأي العام متى شاءوا. يردف المؤرخ التركي قائلاً :بدأوا أولاً بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا فى توحيد أعداء عبدالحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط نجد أنصار الدستور يتخذون طابعاً منظماً وهجومياً، علماً أنهم كانوا حتى ذلك الوقت متفرقين ويعملون دون نظام ودون تنسيق، إذ لم يكن صعباً عليهم توحيد أعداء عبدالحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط وقد أخذ المستشرق الماسوني الإيطالي على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق لأنه كان أقرب مركز ماسوني للدولة

العثمانية ولعبت المحافل الايطالية خاصة محفل ريزوتا في سلانيك دوراً ملحوظاً.

الشيعة وإيران

كان الشيعة الذين يقطنون في دولة الخلافة العثمانية لا يعترفون بالخلافة العظمى، وكان مرجعهم إيران، وكان السلطان عبد الحميد يخشى إن هجمت روسيا على بلاد الأناضول أن تستغل إيران ذلك وتحتل العراق ومع قلة الموارد المالية لعلماء السنة، ظهرت خيرية أودة وهي مؤسسة وقفية هندية خاصة للشيعة أنقذت علماء الشيعة مالياً وأحس السلطان بهذه المشكلة منذ سنة ١٨٨٠م، التي بلغت ذروتها سنة ١٨٨٥م، لذلك استشار السلطان عدداً من الشخصيات حول ذلك مثل الشيخ ميرزا حسن الريس وهو منشق إيراني مقيم في تركيا وكانت له علاقات جيدة مع اثنين من الأتراك جودت باس وزير العدل السابق، ويوسف رضا وطلب منهم تقريراً عن وضع الشيعة في السلطنة وكيفية التعامل معهم، والتقرير الذي قدمه ميرزا الريس للسلطان حث على فكرة الوحدة بين السنة والشيعة ورعاية التقريب بينهما لمواجهة الدول المسيحية، وأشار جودت إلى أنه لابد من تقديم بعض المبادرات مثل:

أولا: إصلاح قبور آل البيت في مقبرة البقيع بالمدينة النبوية، التي تعتبر في غاية الأهمية للشيعة، وأن ترسل هدايا لها.

ثانيا: المساواة في أعطيات المجتهدين الشيعة مع نظرائهم السنة في الإمبراطورية.

ثالثا: تنفيذ بعض الأعمال في العتبات العامة في العراق.

أما يوسف رضا فنبّه في تقريره على نفوذ علماء الشيعة داخل الدولة القاجارية وتأثيرهم على الشاه في إيران ومدى قوتهم، وأنهم يستطيعون إجبار إيران على ما يريدون، والروس يدركون هذه الحقيقة، لذلك دائما ما كانوا يرسلون الهدايا لهم ويكرمونهم، ونصح بالوحدة مع الشيعة وأن السياسة وليس الدين هي سبب الصراع بين العثمانيين والصفويين، ولابد من الوحدة مع الشيعة لمواجهة الطغيان المسيحي، وأن الشيعة جاهزون للوحدة اليوم وبقيادة السلطان عبد الحميد، والسلطان له سمعة عند مراجع الشيعة أكبر من سمعة شاه إيران وأوصاه بهذه المهمة .

لكن السلطان تلقى تقارير أخرى سنة ١٨٩٠م تحذر من كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق؛ فأوفد لجنة عسكرية وأقيل والي بغداد سنة ١٨٩١م بسبب تغلغل الإيرانيين داخل بغداد، و كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق، لذلك أصدر قراراً بنقل الجنود

الشيعة العراقيين على جيوش أخرى للدولة وإبقاء الجنود السنة في بغداد لضمان ولائهم للدولة العثمانية وفي نفس السنة ١٨٩١م حدثت في إيران ثورة التنباك عندما أراد شاه إيران أن يعطي احتكار التبغ لشركات بريطانية واعترض المجتهدون على ذلك؛ لأن علاقتهم مع التجار الإيرانيين علاقة وثيقة جداً بفضل أموال الخمس التي يدفعها البازار للمجتهدين لتغطية مصاريفهم.

دفع جمال الدين الأفغاني المجتهد الشيعي الأفغاني ميرزا حسن الشيرازي وهو في سامراء ليصدر فتوى تحريم التنباك المشهورة، هذه الحوادث أظهرت مدى قوة مراجع الشيعة في عين السلطان عبد الحميد، وأنه لابد من استغلال حجم الصدع بين المراجع وشاه إيران؛ لذلك استقدمه السلطان عبد الحميد لهذا الشأن.

وفي سنة ١٨٩٢ التقى الأفغاني بالسلطان عبد الحميد وكانت غاية السلطان توظيف الأفغاني لعلاج مشكلة الشيعة، وقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته السياسية أنه: يجب علينا أن نقوي الأواصر الإسلامية، بحيث يتساند مسلموا الصين وأفريقيا مع باقي المسلمين في شتى أنحاء الأرض، وإنه لمن دواعي الأسف ألا يقوم تعاون بيننا وبين إيران، وقد كان عليها أن تسعى إلى التقارب معنا كيلا تصبح ألعوبة بيد روسيا وإنجلترا.

قال لي السيد جمال الدين الأفغاني: يمكن توحيد السنة والشيعة إذا أظهر كل منهما حسن النية تجاه الآخر ولقد قوى هذا الشيخ أملي بالتقارب، فإذا تحققت هذه الأمنية تحقق إنجاز عظيم للإسلام وفي نفس السنة ١٨٩٢ وضع السلطان خطة لمعالجة قضية التشيع في العراق؛ لتغيير التوغل الشيعي داخل المجتمع العراقي تقوم على فكرة إرسال مجموعة من طلبة العلم الشيعة في مناطق بغداد والبصرة وكربلاء والنجف للدراسة في الأزهر للتخلي عن العقائد والخرافات الشيعية، واعتقد أنه بهذا يغير عقائد الشيعة الخرافية ويجعلهم ينشرون العقيدة السنية في مناطقهم عند عودتهم، وبهذا يكون هؤلاء منافسين للمراجع الشيعة؛ لأن المجتهدين أغروا الناس والقبائل بالخرافات، لكن السلطان رفض ذهابهم إلى مصر؛ لأن مصر كانت يومها مقراً للمعارضة للخلافة العثمانية فأرسلهم إلى مدرسة في اسطنبول تدرس باللغة العربية إلا أن التجربة لم تنجح.

وفي سنة ١٨٩٤ أحس السلطان أن خطته التعليمية فشلت، وكان السلطان عبد الحميد مدركا أن الحكومة الإيرانية تسعى للسيطرة على مناطق جنوب العراق عبر نشر خرافات وهرطقات الشيعة لتحويل السنة في قبائل الجنوب الجاهلة إلى شيعة للسيطرة عليهم، ومن أجل تحييد هذه الجهود لنشر التشيع في الجنوب أمر السلطان ولاة المناطق بإرسال

الدعاة والعلماء ومساعدتهم وكان السلطان يريد أن يشكل لجنة من العلماء الشيعة والسنة لدراسة أساليب تحقيق الوحدة وإلغاء الخلافات الطائفية لأنه كان يفكر تجاه إيران من منظور إسلامي كي لا تقع فريسة بيد الروس والإنجليز، ولكن الأمور لم تنجح كذلك مما دعا السلطان أن يتهم العلماء بعدم فهم السياسة.

في هذه السنة ١٨٩٤م برزت مشكلة في سامراء فاندلعت اضطرابات بين السنة والشيعة وقعت فيها ضحايا بشرية في الطرفين؛ هذا الحادث دفع السلطان لتبني فكرة التقارب بين السنة والشيعة، خاصة حين علم السلطان أن القناصل الأجانب لهم يد في تحريك المشاكل وأنهم يريدون استمالة المراجع الشيعة إليهم، فاستشار السلطان سفيره في طهران غالب بك بشأن التشيع والمجتهدين الشيعة في العراق، فقال: إن إيران تريد من خلال حادثة سامراء أن تبرهن أنها حامية الشيعة وأنها هي الداعمة المالية لهم عندها اندفع السلطان لتبني سياسة لاحتواء المجتهدين الشيعة وأسند تنفيذ ذلك لجمال الأفغاني، الذي قام وفريقه بتحرير ما يقرب من خمسمائة رسالة بلغات مختلفة فارسية وعربية وهندية وتركية وأرسلوها إلى سائر الأقاليم الإسلامية، وبالفعل وصلت ردود جيدة ومشجعة من الشيعة، على كل تلك الرسائل من كافة علماء العالم الإسلامي وغيرهم فقرأها السلطان وسُر منها غاية السرور وهنأ

الأفغاني على ما حصل من توفيق على يديه ولكن استولت عليه الحيرة والعجب من نفوذ كلمة الأفغاني ونفاذ أمره في هذا المجال الخطير، وكان السلطان عبد الحميد خلال تلك الفترة راضياً على الأفغاني كل الرضا أزعج نجاح السلطان عبد الحميد في التقرب من المراجع إيران، فعملت على فتح جبهة الأرمن ضد الدولة العثمانية ودعمتهم ١٨٩٤-١٨٩٦م، وطالبت أن يكون ثمن إيقاف دعمها للأرمن ترحيل الأفغاني من اسطنبول، ورافق هذا المطلب الإيراني اكتشاف السلطان حقائق مريبة عن الأفغاني، وأنه ليس أفغانيا بل إيراني وأنه شيعي متستر بالسنية وله علاقات بالإنجليز والماسونية، فوضعه السلطان في الإقامة الجبرية ولم يسمح له بالخروج من اسطنبول إلى أن مات سنة ١٨٩٧م.

وكان الأفغاني قد اقترح على السلطان عبد الحميد ضم أجزاء من العراق إلى إيران وذلك لحسم الخلاف الدائر بين الشيعة وأهل السنة، وبرر ذلك بأنه يقرب الشيعة ويضمهم إلى مشروع الجامعة الإسلامية.

أكذوبة المذابح الأرمنية

كثيرة هي الحالات التي تتغير فيها الحقائق وتحيلها مجموعات معينة أوراق ضغط تثار حولها المكائد والدعاوى الباطلة حتى تستحيل حقيقة لا يمكن نكرانها أو حتى تبيان عوارها في الصيغة والأسلوب، ويصبح رفضها جريمة قائمة الأركان.

وكم في التاريخ أشباه هذه الحوادث حيكت رواياتها بقالب واحد ومن وجهة نظر أحادية الجانب متطرفة لا تقبل النقد أو التوجيه، تهدف لتصوير فئة معينة ضحية لمصالح سياسية وعرقية ودينية، والراوية التي نعنيها هي فِرية المذابح الأرمنية وهي تهمة ألصقت زوراً بالدولة العثمانية في أواخر أيامها تحمل الكثير من المغالطات التاريخية إضافة لطمس جزء كبير من الحقيقة ولكن علينا فهم الواقع الذي وصلت إليه الدولة في حينه والوقوف على عدد من المنطلقات التي تسهّل علينا فهم هذه الحقبة والأحداث الشائكة التي حدثت.

بعد حكم السلطان عبد الحميد الثاني الدولة لسنوات طويلة استطاعت فئة من القوميين الذين تربّو في المحافل الماسونية التوغل في المناصب المهمة والجيش وقاموا بمكيدة كبرى عرفت بحادثة ٣٠ مارت تم على أثرها الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني حيث عزل ثم نفي إلى ولاية سلانيك ذات الغالبية اليهودية، واستولى أتباع الاتحاد والترقي على الحكم وأصبحت كل السلطات في أيديهم مع إقصاء شبه كامل للسلطان، وقد ترتب على هذا التحول الكثير من التبعات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وأخطرها إدخال الدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى بتوجيه غربي، لتقسيم تركة الدولة العلية بعد الهزيمة التي منيت بها إذاً حدثت هذه الأحداث والحكم في يد القوميين أتباع

جمعيات تركيا الفتاة والاتحاد والترقي الذين تربوا على يد المحافل الماسونية في أصقاع الأرض وهو أمر معروف جليّ

عاش الأرمن في كنف الدولة العثمانية عدة قرون وأطلقت عليهم الدولة العثمانية لقب الملة الصادقة نتيجة للانضباط الكبير في صفوفهم، وعاشوا في أمن واطمئنان كاملين وانتشروا في أماكن ممتدة وظهر منهم التجار والكتاب ودخلوا في الحياة العامة والسياسية فكان منهم السفراء والقناصل حتى وصل بعضهم لأعلى منصب في الدولة بعد السلطان وهو الصدارة العظمى رئيس الوزراء، فما هو السر وراء هذا الانقلاب المفاجئ وكيف يمكن للدولة أن ترتكب فى حق هذه الفئة مذابح مروعة بسحر ساحر وبين ليلة وضحاها؟

- التدخل الأوروبي الكبير في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية حتى وصلت لفرض البعض حمايته على فئة معينة من رعايا الدولة على غرار ما قامت به فرنسا من حماية للموارنة في جبل لبنان، وبعد الحرب العثمانية الروسية ١٨٧٧-١٨٧٨م وتوقيع معاهدة سان ستيفانو تم تدويل المسألة الأرمنية لتصيح ورقة ضغط جديدة على الدولة للعثمانية.

هذه الركائز يضاف عليها الحرب الإعلامية الشرسة التي شنتها الصحف الغربية والتهويل الكبير الذي لاحق كل الأعمال العسكرية في تلك المناطق مع إغفال ذكر أي اعتداء وعدوان من الطرف الآخر، سهّل

انتشار أكذوبة المذابح الأرمنية وإظهار المسلمين أولاً والعثمانيين ثانياً مجموعة من القتلة الهمج الذي لا يتقبلون الآخر بل يتحينون الفرص للقضاء على أتباع الديانات الأخرى.

منذ بدايات القرن التاسع عشر بدأت روسيا تدخلها في المناطق ذات الأغلبية الأرمنية عبر غطاء الكنيسة، والجدير بالذكر وجود قوانين في الدولة العثمانية تعطي الكنيسة صلاحيات هائلة في قضايا أتباعها مما سهل تحويل الكنائس من دور عبادة إلى معسكرات تدريب وتخزين للسلاح انتظاراً للثورة المرتقبة على الدولة، وقد شارك الآلاف من الأرمن إلى جانب الروس في الحرب ضد الدولة العثمانية والتي لم تقم بأي رد فعل تجاه الأرمن بشكل عام.

وبعد دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وفي الوقت الذي كانت جيوشها تحارب في عدة جبهات حارب الأرمن في جبهة القوقاز إلى جوار الروس ضد العثمانيين وقاموا أيضا بالتمرد والعصيان داخل الوطن خصوصاً في مقاطعة وان ذات الغالبية الأرمنية مما أشغل قوات الأمن بالأحداث الداخلية.

وتنقل المصادر الأرمنية أن عدد المتطوعين المسلحين الأرمن من رعايا الدولة العثمانية الذين حاربوا ضد دولتهم إلى جوار الروس ١٠ آلاف شخص إضافة إلى هؤلاء المتطوعين تقدر مصادر أجنبية عدد

المحاربين الأرمن النظاميين داخل الجيش الروسي بـ ١٥٠ ألف مقاتل، حتى أقر بعض الكتاب الأرمن بأنهم أصبحوا طرفاً بل حليفاً في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ولم يكتف الأرمن بتقديم مساعدات للروس للاستيلاء على مدينة وان بل قاموا بقتل عشرات الآلاف من المسلمين المدنيين من الشيوخ والنساء والأطفال القاطنين فيها، وقد أثبتت الوثائق العثمانية أن الأرمن قاموا في تلك الفترة بمجزرة حقيقية وإبادة ممنهجة بلغ ضحاياها أكثر من نصف مليون مسلم من الأتراك والأكراد والعرب ويذكر الكاتب الأمريكي جاستن مكارثي مؤلف كتاب التمرد الأرمني في وان الذي كتبه المؤلف بأسلوب علمي عميق وغير منحاز، ومدعوم بالوثائق، أن التمرد كان هدفه مساعدة القوات الروسية المهاجمة على احتلال المدينة والإقليم، هذا يعني أنه كان من واجب الدولة العثمانية الدفاع عن أراضيها ضد التآمر الداخلي والخارجي، ولقد قامت القوى الأرمنية بالتنسيق التام مع القوات الروسية، وكذلك مع القوى البريطانية والفرنسية، واهمة أن تلك الدول كان يهمها أي أمر غير مصالحها الاستعمارية هذا الوهم قاد قادة التمرد الأرمني إلى الوقوع في فخ العصبية العمياء.

يدعي الأرمن أنهم وقعوا ضحية مجزرة مهولة ولكن المصادر التاريخية تذكر أن أغلب القتلى من الأرمن قضوا على الجبهات إلى جانب القوات الروسية، كما مات عشرات الآلاف من الأرمن أيام الحرب بسبب

الأمراض المعدية والبرد القارس والجوع شأنهم في ذلك شأن المسلمين أتراكاً كانوا أم كرداً من رعايا الدولة العثمانية أيام الحرب وقد سلم بهذه الحقيقة الناشر الأرمني أرشاق جوبانيان حيث قال: لا محالة من المبالغات في مثل هذه الأزمات ولكنه ليس من الصواب بأن ندعي أنه تم إبادة الأرمن في تركيا .

ونختم مع شهادة مهمة لأحد الذين عاصروا بروز القضية الأرمنية على الساحة الدولية وهو مصطفى كامل باشا المصري في كتابه الحافل المسألة الشرقية الذي نشر في مصر عام ١٩٠٩م، وقد خصص فصلاً للمسألة الأرمنية في الجزء الثاني (ص ١٧٦-٢٥٠) حيث يلقى اللوم على إنجلترا في كل ما حدث ويشرح نواياها السيئة قائلاً: إن انجلترا تريد هدم السلطنة العثمانية وتقسيم الدولة العلية ليسهل لها امتلاك مصر وبلاد العرب وجعل خليفة الإسلام تحت حمايتها وآلة في يدها.

وكانت انجلترا بحاجة إلى عنصر داخلي لتحقيق مآربها فكانت الضحية هم الأرمن، إذ يقول مصطفى كامل باشا في هذا الشأن ما نصه: ورأى العالم هذه الطائفة التي كانت تعيش في بحبوحة السعادة والرفاهية والتي كان يسميها العثمانيون بالملة الصادقة والتي لها في مناصب الحكومة والادارات وفي التجارة والصناعة الشأن الأول تثور ضد الدولة العلية.

ويقول عن دسائس الانجليز في مكان آخر ولكن انجلترا اشتهرت بأنها لاتقف أمام عائق لبلوغ غايتها وإدراك بغيتها فقد سلّحت الأرمن البروتستانت وألقت عليهم تعليمات بإحداث فوضى عامة في كافة أنحاء المملكة العثمانية والاعتداء على المسلمين في كل بلد عثماني ووعدتهم بالمساعدة والتدخل وإيجاد مملكة أرمنية مستقلة.

وفيما يخص قلب الحقائق والقيام بالدعاية ضد الدولة العثمانية يقول: الحقائق تنشر في أوروبا مقلوبة وطالما اعتدى المسيحيون على المسلمين ادّعت جرائد أوروبا أن المسلمين هم المعتدون وأنهم وحدهم المقترفون لكل الآثام، وكان الانجليز يعلمون أيضاً أن تدخل أوروبا في مسائل تركيا وتحزبها ضدها يملآن قلوب المسلمين غلاً وكراهة ضد المسيحيين ويشجعان المسيحيين على الاستمرار في خطتهم الثورية فيزداد بذلك البلاء ويعم الدمار والفناء وتنزل المصائب على تركيا وتحل البلايا بالسلطنة العثمانية.

وينقل فيما يخص فبركة الأحداث عن الكاتب الفرنسي الفيكونت دي كورسون ما نصه: والواقف على مسألة الأرمن بحذافيرها يتحقق لديه أنه ما من حادثة وقعت في البلاد التي اصطلح الانجليز على تسميتها بأرمينيا إلا وتكون الجرائد الانجليزية في لندن قد أنبأت بها قبل حدوثها بزمن طويل جداً فتراها تبين لقرائها نوع الحادثة التي ستقع ومكان

وتاريخ وقوعها كما فعلت في حادثة وادي تالورى ولا يجدر بالعاقل أن يتخذ هذا الأنباء بالمستقبل ضرباً من ضروب التبصر الذي امتازت به الجرائد الانجليزية بل لا بد أن يذهب في تفسير معناه إلى ما فسره به من قال أن الثورة الأرمنية أشبه شيء ببضاعة جهزها الانجليز في مجتمعاتهم السياسية وأخذوا في تصديرها حسب الطلبات إلى جهات معلومة.

إن ادعاء الإبادة ضد الأرمن أكذوبة لم يرها التاريخ وحقيقة جلية حرفتها الأقلام وشاركت وسائل الإعلام على مدى عشرات السنوات في تزييفها، حتى أضحى التكلم عن هذه القضية جريمة فسلم بذلك الجيل الجديد الذي تربى على المعلومات والمعطيات والمناهج الغربية ولم يعرفوا أن الأرمن تواطأوا مع الانجليز وحاربوا إلى جوار الروس ضد دولتهم وخانوا تلك العلاقة الودية التي استمرت لعدة قرون واستبدلوا بحبوحة العيش التي نعموا بها بالقتل الجماعي والإبادة الممنهجة في حق جيرانهم المسلمين الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء في الوقت الذي كان رجالهم وشبابهم يحاربون في عدة جبهات.

لذا ندعو العقلاء لمطالبة الأرمن بالاعتذار عن المذابح التي قاموا بها فى حق المسلمين ودفع التعويضات اللازمة وتجريم كل من يؤيد وينادي بأن هناك جريمة فى حق الأرمن .

رحم الله تعالى آلاف المسلمين الذين أضاع نسياننا وجهلنا حقوقهم التاريخية واستشهدوا في أقذر حالات طمس وتزوير التاريخ في القرن الماضي.

تشويه السلطان عبد الحميد ودوافعه

عندما أدركت القوى المعادية ولا سيما الصهيونية العالمية أنهم أمام خصم قوي وعنيد، وأنه ليس من السهولة استمالته إلى صفها، ولا إغرائه بالمال، وأنه ما دام على عرش الخلافة فإنه لا يمكن للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولن تتمكن الدول الأوروبية من أن تحقق أطماعها أيضاً في تقسيم الدولة العثمانية والسيطرة على أملاكها، وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان.

لذا قرروا الإطاحة به وإبعاده عن الحكم، فاستعانوا بقوى الشر التي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام، وأهمها الماسونية، وجمعية الاتحاد والترقي، وحركة القومية العربية، والدعوة للقومية التركية، ولعب يهود الدونمة دوراً رئيساً في إشعال نار الفتن ضد السلطان، وكان من وراء الجميع وكالة المخابرات المركزية البريطانية التي كانت تمسك الخيوط جميعها، فنفذوا مؤامراتهم بالقضاء على الخلافة الإسلامية، وأشاعوا الافتراءات لتشويه تاريخه وتهميش نضاله ضد الصهيونية العالمية وأعوانها؛ لأنه كشف مخططاتهم وفضح مؤامراتهم وقاومهم طيلة ٣٣ سنة هى فترة حُكمه، وتمكنوا من عزله وخلعه من منصبه عام ١٩٠٨م

وقد أشاع أعداؤه أنه وراء قتل أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ورميهم في بحر مرمرة، وأنه قام بمذابح ضد الأرمن الذين كان الروس والإنجليز يشجعونهم ضد الدولة العثمانية، ولكنَّ التاريخ أثبت أيضاً أن السلطان منها براء، وأن اليهود في الباب العالي كانوا وراء تلك المذابح، وأثبت التاريخ أن هذه الروايات ليس لها سند صحيح.

دوافع تشويه صورة عبد الحميد الثاني: إن الصورة التي رسمت للسلطان عبد الحميد، جزء من مخطط كبير يهدف إلى:

أولاً: تشويه تاريخ المسلمين وتزييف ماضي الأمة وتهميش رموزها، وتغييب أعلامها عن ذاكرة أبنائها؛ ليقتلوا فيهم اعتزازهم بدينهم وتراثهم، وليخفّفوا بعد ذلك من أثر العقيدة الصحيحة في النفوس، وما يمكن أن تؤديه في حياة الناس.

ثانيًا: تعبئة هذا الفراغ بصنع تاريخ جديد أبطاله أتشيه جيفارا، وفرويد، وداروين، وكارل ماركس ، وطابور المطربين والمطربات والممثلين والممثلات، كل ذلك عن طريق المدارس والجامعات والصحف والتلفاز والسينما والإنترنت، وغيرها.

ثالثًا: تنشئة أجيال من المسلمين لا يحملون من الإسلام إلا اسمه؛ ليكون الأداة التي تُستخدم لتدمير الإسلام من الداخل، كما تفعل الحشرة في باطن الثمرة .

لذلك لا بدَّ لنا من أن نقف إزاء التاريخ خصوصاً أمام أعلامه موقف عدل وإنصاف، وأن نحاول التمييز ما بين الغث والسمين، ونحاول أيضاً إزالة ما عَلِق من شبهات وافتراءات حتى تظهر لنا الصورة بأكملها دون تغليب السواد على البياض؛ لذلك واجبنا كمسلمين هو أن نميز بين عهدين ، عهد السلطان عبد الحميد الذي انتهى عام ١٩٠٨م، الذي اتسم بشهادة المؤرخين غير المتعصبين بالعدل والتسامح؛ حيث عمل السلطان على جمع القلوب، وعلى تقدير العلماء وإنشاء المدارس والمساجد، وإعطاء الحقوق للطوائف الأخرى، حتى حاز على محبَّة الناس وثقتهم وما بين حكم الاتحاديين الذي يمثِّل أسود صفحات الحكم التركي ولاءً للصهيونية،وضرب للوحدة الإسلامية،وإعلاءً للحركة الطورانية ، ومحاولة لتتريك العرب في سوريا ولبنان، وتعليق زعمائهم على المشانق .